التّحوّل المجازيّ للفظ (الباب) في القرآن الكريم

(دراسة لغويّة دلاليّة)

أ.م. د. علي خضري أ.م. د. رسول بلاوي آمنة آبكون

جامعة خليج فارس - بوشهر - جمهورية ايران الاسلامية

فحوى البحث

قدّمت ظاهرة المجاز في البلاغة العربية تحولا وخدمةً للقرآن الكريم، أي لمعرفة أسراره الخفيّة وكنوزه البلاغية ودلائله الإعجازية، إذ للمجاز دور مهم في معالجة قضايا ومسائل تم الاختلاف فيها ومن هذه القضايا: مشاهد القيامة، ووصف الجنة والنار و... لذا نجد الكلمات متغيرة في معانيها، ومتنوعة في دلالاتهـا؛ ولفظة "الباب" تنضم الى هذه الألفاظ.

يهدف هذا البحث الى متابعـة لفظ "الباب" في القرآن، للكشف عن البلاغة والرموز الموجودة في طيّات معنى الكلمة عبر دراسة محورين أساسيين هما: توضيح الدلالة للفظ الباب.. ورقي الحياة العقلية لدلالتها وهي دراسة لغويّة –بلاغيّة حسب نظرية إبراهيم أنيس في مجال التطور الدلالي للألفاظ.

المقدّمة:

كثيرا ما نجـد الألفاظ وهي تحمل أكثر من دلالة عبر السياق القرآني ولم يتمّ هذا التغيير إلّا بمرور زمن طويل، فبعض تلك الدلائل يعرفه العرب وقتَ نزول القرآن وبعضها الآخر لا علم لهم به وقتَ نزوله، إذ جاء به الاستعمال القرآني.

لقد قمنا بدراسة لفظ الباب في القرآن الكريم لما في التعبير القرآني من ميزة جماليّة خاصّة وبلاغة مكّنته من إعطاء الكلمة لوناً برّاقاً ولحناً خالداً. ففي دراستنا للدلالة البلاغيّة قمنا بدراسة توضيح دلالات لفظ الباب ومن ثمّ ولجنا في التطور العقلي لتحوّل هذه الدلالات.

اقتضت خطة البحث أن تكون الدراسة في محورين يسبقها تعريف للتحوّل المجازي، والمعنى الأصلي لمادة (ب و ب) في العصر الجاهلي والإسلامي، والاستعمال المجازي للفظ الباب ومن ثمّ خضنا في المحورين الأصليين و هما:

أ. توضيح الدلالة للفظ الباب.

ب. رقي الحياة العقلية لدلالة الباب.

وألحقنا المحورين أهمّ ما توصّل إليه البحث وجدولا يحتوي على الآيات الواردة في القرآن وهي تضمّ كلمة الباب.

أمّا الدراسات التي تطرقت إلى موضوع البحث فهي على النحو التالي: كتاب إبراهيم أنيس تحت عنوان (دلالة الألفاظ) وكتاب (المعنى وظلال المعنى) لمحمّد محمّد يونس علي. تناول هذان الكاتبان الدلالة المركزيّة والهامشيّة وأنواع الدلالات ومصطلحاتها المتنوّعة. والدلالة النفسيّة للألفاظ في القرآن الكريم لمحمّد جعفر حسين درس فيه الكاتب الأساليب النفسية لدلالة الألفاظ المتكررة في القرآن. ومن هذا المنطلق درسنا لفظ الباب في القرآن دراسة جديدة ربما لم يتطرّق إليه باحث ولم يدرسه كاتب.

التحوّل المجازي:

التحوّل المجازي بابٌ من الأبواب الخمسة التالية (التخصيص، والتعمم، وانحطاط الدلالة، ورقي الدلالة، وتغيير مجال الاستعمال أي التحوّل المجازي)

في التطور الدلالي للألفاظ[١]. المجاز هو الركن الأساسي في مجال التطور الدلالي وفي أبسط معانيه يعني: ما تجاوز موضعه الذي وضع له، والحقيقة ما لم يتجاوز ذلك[٢]، أي إذا كانت الحقيقة أصلًا في الاستعمال اللغوي فإنّ المجاز خروج عن هذا الأصل ليساعد على النمو اللغوي والتوالد الدلالي وكذلك يعتبر المجاز انتقالاً في دلالة الكلمة المعيّنة من مساحة دلاليّة محدّدة إلى مساحة أخرى بقصد أو بغيره[٣].

للمجاز دوافع وأغراض مختلفة وقد «يُعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة: وهي الاتساع، والتوكيد، والتشبيه، فإن عُدمت هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة»[٤] ومن دوافعه توضيح الدلالة لعدم وقوع الأفهام في الخطأ واللبس ورقي الحياة العقليّة بسبب توظيف الألفاظ بشكل غير حقيقي لتوالد المعاني الجديدة والراقية[٥].

المعنى الأصلي لمادة (ب و ب):

يقول صاحب كتاب العين: «الباب: معروف.. والفعل منه، التبويب. والبابة في الحدود والحساب ونحوه: الغاية. والبابة: ثغر من ثغور الروم. وباب الأبواب: من ثغور الخزر. والبواب: الحاجب. ولو اشتق منه فعل على فعالة لقيل: بوابة، بإظهار الواو، ولا يقلب ياء، لأنه ليس بمصدر محض، إنما هو اسم»[٦].

ويقول صاحب تهذيب اللغة «باب فلان، إذا حفر كوة، وهو البيب. أبوعبيد: تبوبت بوابا، أي: اتخذت بوابا. وقال أبو مالك: يقال: أتانا فلان ببابية، أي: بأعجوبة. بابية: عجيبة. الليث: البابية: هدير الفحل في ترجيعه تكرار له؛ قال رؤبة: بغبغة مرا ومرا بابيا. بوب الرجل، إذا حمل على العدو. والبوباة: الفلاة،

(١) أنيس، دلالة الألفاظ، ص ١٦٠.
(٢) راغب اصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٢١٢.
(٣) هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص ٢٢٤.
(٤) ابن جنّي، الخصائص، ص٤٤٢. نقلًا عن هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص ٢٢٥.
(٥) إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص ١٦٠-١٦١.
(٦) فراهيدي، كتاب العين، ج٨، ص ٤١٥.

وهي المومأة. قال ابن الأنباري في قولهم: هذا من بابتي. قال يعقوب بن السكيت وغيره: البابة، عند العرب: الوجه الذي أريده ويصلح لي. وقال أبو العميثل: البابة: الخصلة. وقيل: بابات الكتاب: سطوره. بابة، وبابات، وأبواب؛ وأنشد لتميم بن مقبل: (تخيّر بابات الكتاب هجائيّاً) قال: معناه: تخير هجائي من وجوه الكتاب. فإذا قال الناس: من بابتي، فمعناه: من الوجه الذي أريده و يصلح لي»[٧].

وقال ابن منظـور في هذا الصدد: «الباب يجمع أبوابا، وقد قالوا أبوبة، للازدواج. وهذا شيء من بابتك، أي يصلح لك. الباب معروف، والفعل منه التبويب، والجمع أبواب وبيبان. قال ابن السكيت وغيره: البابة عند العرب الوجه، والبابات الوجوه»[٨].

أمّا دلالة لفظ الباب ومشتقّاته قبل الإسـلام فكانت محـدودة منها معان كالجود والكرم، ومدخل البيوت وقصور الملوك، وامتناع الخير والجود، والأماكن، والمبالغة في القرابة. وبعض من الدلالات هي الأمثلة التالية:

أ. مدخل البيوت:

«**وَمَأكَمَةً يَضيقُ البابُ عَنها**
وَكَشحاً قَد جُنِنتُ بِهِ جُنونا

الشرح: المأكمة: رأس الورك، ويريد بها العجيزة، والكشح: الخصر. يقول: وتريك عجيزة ضخمـة يضيق الباب عنها، وخصراً قد فتنت به»[٩].

ب. في حق فلان:

«**وَما فَعَلوا فِعلَ العُوَيرِ بِجارِه**
لَدى بابِ هِندٍ إِذ تَجَرَّدَ قائِما

الشرح: قوله (فعل العويرة بجاره) يعني عوير بن شجنة العطاردي، وكان أحد من أجار امرأ القيس ومنع منه. وهند أخت امرئ القيس. وقوله (إذ تجرّد قائماً)؛ يقال: تجرّد فلان لهذا الأمر إذا شمّر له وقام به»[١٠].

ج. كناية عن: لا آخر له ولا منتهى:

«**وَلا تَذهَب بِحِلمِكَ طامِياتٌ**
مِنَ الخُيَلاءِ لَيسَ لَهُنَّ بابُ

(٧) أزهري، تهذيب اللغة، ج١٥، ص ٤٣٩.
(٨) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٢٢٣

(٩) عمر بن كلثوم، الديوان، ص٦٩.
(١٠) امرؤالقيس، الديوان، ص١٣١.

الشرح: الطاميات: المرتفعات، يقال: طما الماء، إذا علا وارتفع. والخيلاء: التكبّر والبطر. وقوله (ليس لهنّ باب)، أي لا آخر لهنّ ولا منتهى»[11].

د. **العلم بأمرٍ ما:**

«وَإِن بابُ أَمرٍ عَلَيكَ اِلتَوى
فَشاوِر لَبيباً وَلا تَعصِهِ

الشرح: التوى: أي اعتاض. اللبيب: الحكيم المعاقل ذو الفطنة»[12].

ه. **مدخل البيت:**

«كُمَيتٍ كَرُكنِ البابِ أَحيا بَناتِهِ
مَقاليتُها وَاِستَحمَلَتهُنَّ إِصبَعُ

الشرح: كركن الباب: كالسّارية التي تلي الباب. يقول: كان فيها إبل مقاليت، والمقلات التي لا يعيش لها ولد من الإبل والطير وكلّ شيء، فلمّا ضربها هذا الفحل بورك في ضرابه فعاش أولادها واستحملتهن إصبع: أي عليهن أثر حسن من الراعي فإذا نُظر إليهنّ بالأصابع»[13].

و. **كناية عن: الكرم والجود:**

«فَفَتَحتَ بابَكَ لِلمَكارِمِ حيـ
نَ تَواصَتِ الأَبوابُ بِالأَزمِ

الشرح: الأزم: أي الإغلاق»[14].

ز. **استثقال الناس لوجود شخص ما:**

«لِزادِ المَرءِ آبَصَ مِن عُقابٍ
وَعِندَ البابِ أَثقَلَ مِن رَصاصِ
بَكى البَوّابُ مِنكَ وَقالَ هَل لي
وَهَل لِلبابِ مِن ذا مِن خلاصِ

الشرح: كنت كالعقاب في تناول صيده، ينفض الناس من حولك لفظاظتك وبخلك وثقل وجودك بينهم. يستثقلك الناس ويحاولون التخلّص منك بكل حيلة»[15].

ح. **المكان:**

«لَن تَسلُكي سُبُلَ البَوباةِ مُنجِدَةً
ما عاشَ عَمرٌو وَما عُمِّرتَ قابوسُ

الشرح: البَوباة: ثنيّة في طريق نجْد ينحدر منها صاحبها إلى العراق»[16].

أمّا المعاني الموظّفة للفظ الباب لدى

(١١) النابغة الذبياني، الديوان، ص١٠٩.
(١٢) طرفة بن عبد، الديوان، ص٥٩.
(١٣) الطفيل الغنوي، الديوان، ص١٢١.
(١٤) طرفة بن عبد، الديوان، ص٨٢.
(١٥) عبيد بن الأبرص، الديوان، ص٧٤.
(١٦) المتلمّس، الديوان، ص٩٣ - ٩٤.

المخضرمين (القسم الإسلامي منه) فهي على النحو التالي:

أ. مواجهة الأمور من طريقها:

«مَتى ما أَتَيتَ الأَمرَ مِن غَيرِ بابِهِ
ضَلِلتَ وَإِن تَدخُل مِنَ البابِ تَهتَدِ[17]»

الشرح: حينما تتصرف في أمورك من غير طريقه سوف تتيه وحينما ترد الأمور من سبيلها تجد الرشد والهداية.

ب. مدح أصحاب النبي ﷺ:

«وَكَأَنَّ أَصحابَ النَبِيِّ عَشِيَّةً
بُدنٌ تُنَحَّرُ عِندَ بابِ المَسجِدِ

الشرح: البُدن: جمع بدنة وهي من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تُهدى إلى مكّة سمّيت بذلك لأنّهم كانوا يسمّونها (اللسان مادّة بدن)[18]».

ج. أبواب الجنّة:

«فَلو كُنتَ بَوّاباً عَلى بابِ جَنَّةٍ
لَقُلتُ لِهَمدانَ اِدخلوا بِسلامِ

الشرح: ولو: في الديوان: إذا. لقلت: في الديوان: أقول. ادخلوا: في موقعة صفين وشرح المنهج: ادخلي[19]».

د. طريق الحلال:

«وَكُن طالِباً لِلرِزقِ مِن بابِ حِلَّةٍ
يُضاعَف عَلَيكَ الرِزقُ مِن كُلِّ جانِبِ[20]»

الشرح: اطلب الرزق من الطريق الصحيح والحلال فتجد البركة مالك ويزداد رزقك من حيث لم تحتسب.

ه. أبواب الفضل:

«إِلهي أَنِلني مِنكَ رَوْحاً وَرَحمَةً
فَلَستُ سِوى أَبوابِ فَضلِكَ أَقرَعُ[21]»

الشرح: إلهي امنحني روحاً طيباً ورحمة من عندك فإنّي لم أقف بباب أحد (وأريد الفضل) سوى أبواب فضلك.

فيمكننا أن نستنتج المعاني المعجمية للفظ الباب ومشتقاته (ما قبل الإسلام) على النحو التالي: القيام بالعمل، وحافظ البيت، واتخاذ الشيء، والحملة (الكرّ) على العدوّ، والمحاسبة، والحاجب، وحفر كوة، وأعجوبة، وهدير الفحل، والفلاة، والوجه، والخصلة، وسطور الكتاب.

(١٧) قيس بن الخطيم، الديوان، ص٧٦.
(١٨) حسان بن ثابت، الديوان، ص٦٨.
(١٩) علي بن ابي طالب، الديوان، ص١٧٤.
(٢٠) المصدر نفسه، ص١٥.
(٢١) علي بن ابي طالب، الديوان، ص١٢٨.

جدير بالذكر أنّ المعاني المذكورة لم تتجاوز الدلالات المحسوسة والملموسة؛ حينما نجد الدلالات لدى المخضرمين تتجاوز المفاهيم المحسوسة وتتشمّر بالمعاني والدلالات السماويّة متأثّرة بالقرآن والمفاهيم الإسلاميّة بجانب المفاهيم المحسوسة.

الاستعمال المجازي للفظ الباب:

وُظّف لفظ الباب في غير ما وضع له وحسب مقضى الحال كما في الأمور التالية:

١. هذا من باب كذا: من قبيلة.
٢. أغلق باب الاجتهاد: وضع حدّاً له.
٣. أغلق باب المفاوضات: ليس لديه استعداد للتوصّل إلى حلّ.
٤. الحرب على الأبواب: مُحدِقة، وشيكة.
٥. العدوّ على الأبواب: قريب جدًّا.
٦. باب الآخرة: الموت.
٧. باب الرِّزق: حرفة، مرتزق.
٨. باب الانتصار أو باب النصر: قوس النصر.
٩. ترَكَ البابَ مفتوحًا: أتاح فرصة، ترك الأمر معلّقًا دون اتخاذ قرار نهائيّ بشأنه.
١٠. دخَل من الباب الصغير: بلغ مركزًا بدون استحقاق ودخَل من الباب الكبير: نال مركزًا عن جدارة واستحقاق.
١١. سُدَّت في وجهه الأبواب: فشِل في بلوغ غرضه.
٢١. سياسَةُ الباب المفتوح: سياسة تعتمد على إلغاء القيود، أسلوب سياسيّ يقوم على الحوار وعدم المواجهة.
١٣. طرق كلّ الأبواب: حاول بكلّ السّبل، استعمل كلّ وسيلة.
١٤. على باب الكريم: على فضل الله ونعمه.
١٥. فتَح بابًا جديدًا: أتَى بشيءٍ جديد.
١٦. فتَح باب النِّقاش: بدأ عرض القضايا موضوع النقاش.
١٧. أَعْطَى مِنْ مَالِهِ مِنْ بَابِ الفَضْلِ: مِنْ قَبِيلِ الْمَعْرُوفِ[٢٢].
١٨. فلان من أهون باباته الكذب: أي أنواع خبثه.
١٩. هذا من بابتك: أي مما يصلح لك.

(٢٢) موقع المعاني على الرابط التالي: http: // www. almaany. com

٢٠. وابن البواب: علي بن هلال، الكاتب المشهور، ولم يوجد في المتقدمين ولا المتأخرين من كتب مثله ولا قاربه.

٢١. هذا الشيء باب إلى كذا، أي يتوصّل به إليه.

٢٢. وباب الأبواب: مدينة قديمة منها إلى شيروان نحو سبعة أيام، وهي الحد بين مملكة الفرس ومملكة الخزر، وتسمى باب الحديد، وتعرف بدربند... وسموا: بابا، وبوبيا، وبوبية، وبوبو، وبابي، وبابيه، وبوبة، وبابويه، كخالويه.

٢٣. باب العلم.

٢٤. أبواب الكتاب.

٢٥. بوبت المكان: عملت له بابا.

٢٦. وبوبت الكتاب: جعلته أبوابا.

٢٧. البواب: حافظ الباب، وهو الحاجب.

٢٨. باب الأبواب: هو التوبة؛ لأنها أول ما يدخل به العبد حضرات القرب من جناب الرب[٢٣].

٢٩. باب الحطة: الأئمة الأطهار وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

و...

لفظ الباب في القرآن الكريم:

ورد لفظ الباب في القرآن الكريم ٢٥مرّة بصيغتي الجمع والمفرد المذكّر، بينما نجد هذا اللفظ يُؤنَث أحياناً في النصوص والمعاجم ويُجمَع بصيغ مختلفة أحياناً أخرى. وجدير بالذكر أنّ ما يجمع في القرآن الكريم بصيغة الجمع على وزن أفعال، ينضمّ إلى ما يعبّر عنه النحاة بجمع القلّة ولا يتجاوز أكثر من عشرة أبواب. أي حينما يُتكلَّم مثلاً حول أبواب الجنّة وأبواب النار فهي لاتتجاوز سبعة أو ثمانية أبواب. ونشير إلى هذا المهمّ بأنّه ما ورد في القرآن على وزن أفعال (أبواب) لا يتجاوز هذا الجمع ولا يدخل في إطار جمع الكثرة.

وها هنا نقوم برسم شكل يضمّ لطائف رقميّة للفظ الباب في القرآن الكريم متذكّرين بأنّه ورد لفظ الباب في القرآن مفرداً وجُمع مذكّراً وتمّ توظيفه اسماً ولا غير.

(٢٣) مدني، الطراز الأول، ج١، ص ٢٩٧-٢٩٨.

لطائف رقميّة لمفاهيم الباب في القرآن الكريم									
الحسي	المعنوي	الأخروي	الدنيوي	الحقيقي	المجازي	الجنّة	النار	الدخولي	الخروجي
١٢	١٩	١١	١٢	٥	٢٠	٣	٦	٦	١٨

وكذلك نقدّم جدولاً يضمّ المعجم اللغوي للفظ الباب شكلاً ومعنىً بصورة عامّة:

المعجم اللغوي للفظ الباب بشكل عام		
لفظ الباب ومشتقاته	نوع التوظيف	المعنى
الباب	اسم ومفرد مذكّر	مدخل البيت
الأبواب	اسم وجمع	جمع مدخل البيت
البيبان	اسم وجمع	جمع مدخل البيت
البابة	اسم ومفرد مؤنث	وجه، خصلة
البابات	اسم وجمع	سطور
بوّب	فعل ماض	قسمّ الكتاب
تبوّب	فعل مضارع	اتخذ بواباً
البوّاب	صفة مشبّه	الحاجب
البوباة	صفة مشبّه	الفلاة
بابية	صفة مشبّه	أعجوبة

يوظّف لفظ الباب بالأشكال التي تـمّ شرحها في الجـدول أي اسـماً وفعلاً وصفة فيقبل معاني مختلفة مثل: (سطور، ووجـوه، وتقسيم، والحاجب، والفلاة، وأجوبة). وكذلك يؤنث، و يذكّر، ويفرد، ويثنّى، ويجمع، بينما يحدّد توظيفه في القرآن بالاسم فقط.

ففي المحورين التاليين أي توضيح الـدلالـة ورقـي الحيـاة العقليّة (وهما يعتبران من أضراب المجـــاز وأهدافه) سوف نقوم بتحليل الدلالات الموجودة للفظ الباب في بعض آيات وسنتبعها جـدولاً يشرح التحليل الـدلالي بشكل موجز للآيات التي تمّ إهمالها، ومن ثمّ نشير إلى الآيات التي وظّفت لفظ الباب بشكل عام، وبعد بيان أهمّ ما توصّل إليه هذا البحث نلحقه فهرس الآيات التي ورد فيها لفظ الباب ومشتقّاته في القرآن الكريم برمّته.

أ. توضيح الدلالة للفظ الباب:

أشـار إبراهيم أنيس في هـذا النوع من المجاز قائلاً بأنّه «يكون عادة حين تنتقل الدلالة المجردة إلى مجال الدلالات المحسوسة الملـمـوسـة»[٢٤] أي حينما يضلّ الذهن في فهم ما يتعلّق بالعقل فعليه أن يستمدّ بـالحـواس لكي يعثر على الصواب ولا يقع في الخطأ. الآيات القرآنيّة التي تقوم بوصف نعم الجنّة ونقم النار تقع في إطـار هذا النوع من المجاز إذ لا يمكن لأحد أن يدرك ما لم ير من المجردات والماورائيات، وكثيراً ما يبشّر الله أصحاب الجنّة بديمومة نعمها وتنوّعها. ومن قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴾ [سـورة ص: ٥٠]. «وتفتيح الأبواب كناية عن التمكين من الانتفاع بنعيم الجنّة لأنّ تفتيح الأبواب يستلزم الإذن بالدخول وهـو يستلزم التخلية بين الداخل وبين الانتفاع بما وراء الأبواب»[٢٥]فمن الممكن أن نقول بأنّ أبواب الجنّة المفتّحة من ضمن نعيمها وراحتها والدلالة اللفظيّة الموظّفة في هذه الآية الشريفة هي الدلالة التضمنيّة.

إنّه تعـــالى يريد أن يشجّع العباد

(٢٤) إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص ١٦٠.
(٢٥) ابـن عاشور، محمّد بن طاهر، التحرير والتنوير، ج٢٣، ص ١٧٤ -١٧٥.

بالعمل للوصـــول إلى الجنّة وراحتها الأبديّة إذ لم يزل الإنسان يعيش في كبد وتَرِد عليه المصائب والمتاعب ولم تتركه إلاّ وهو في الجنّة، فاستعار «تفتيح الأبواب» لبيان نعم الجنّة ورغدها؛ أي المعنى المراد من لفظ الأبواب، بيان أصناف نعم الله[٢٦]. ولكي يدرك العقل البشري المعنويات ويمكنه فهم ما لم يرَ من عـالم الماورائيّات، نُقلت نعم الجنّة إلى عالم الملموسات حيث شُبّهت الجنّة بقصور لها أبواب مفتّحة.

وفي الشكل التالي حاولنا أن نرسم المعنى المراد (المعنى المركزي) عن طريق الحقل الدلالي[٢٧] لهذا المعنى مستمدّين من الآيات السابقة لهذه الآية الشريفة:

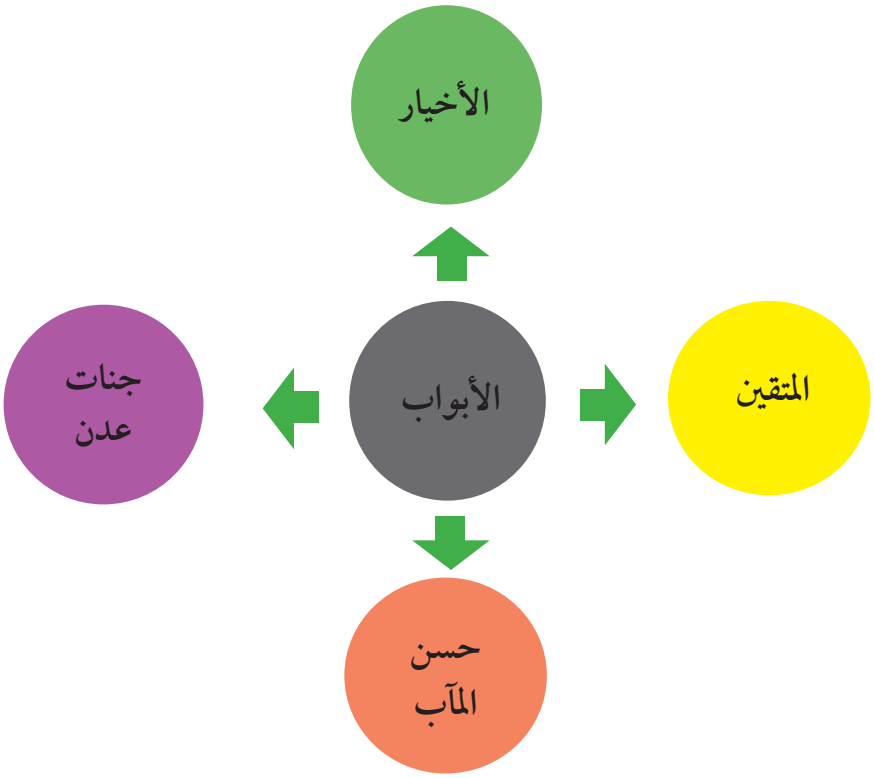

(٢٦) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٣، ص ٢٢٦.

(٢٧) الحقل الدلالي: هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها. والهدف من تحليل الحقول الدلالية هو جمع كلّ الكلمات التي تختصّ بحقلٍ معيّن، والكشف عن الصلات الموجودة بينها (مختار عمر، علم الدلالة، ص٧٩ – ٨٠).

قد وعد الله الأخيار بأفضل جزاء وأجود العودات وهي ديمومة الحياة في جنّات تمّ وصفها في القرآن الكريم جزاء للمتّقين ولأعمالهم الطيبة. فالحقل الدلالي الذي يظهر في ألفاظ (الأخيار، والمتقين، وحسن المآب، وجنّات عدن) يهدي القاريء نحو المعنى المركزي لمفهوم الباب المفتوح؛ وهي البشارة بخلود أصناف النعم في جنّة الفردوس المعدّ للأخيار والمتقيّن الذين يحسنون العودة إلى الله

كذلك يظهر هذا الانتقال الجميل من عالم المجردات إلى عالم المحسوسات حينما يحذّر الله عباده الطغاة بالنار وأصناف عذابها حيث يقول سبحانه وتعالى مخاطباً الكفّار في النار: ﴿ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾[سورة غافر: ٧٦] «أي مؤبّدين فيها لا انقطاع لكربكم فيها ولا نهاية لعقابكم. وقيل إنّما جُعل لجهنّم أبواب كما جعل لها دركات تشبيهاً بما يتصوّر الإنسان في الدنيا من المطابق والسجون والمطامير فإنّ ذلك أهول وأعظم في الزجر»[٢٨]؛ فطبقاً للدلالة الإلتزاميّة يمكننا القول بأنّ «دخول الأبواب كناية عن استمرار الكون في جهنّم، لأنّ الأبواب إنّما جعلت ليسلك منها إلى البيت ونحوه»[٢٩] ولزوم التعذيب في النار هي الدخول من أبوابها أو في أصناف عذابها بينما جاءت الآية الشرفة «بعد المحاورة السابقة، وهم قد كانوا في النار، ولكن هذا أمر يقيد بالخلود، وهو الثواء الذي لا ينقطع، فليس أمراً بمطلق الدخول»[٣٠].

استعار الله تعالى عبارة (أبواب جهنّم) والدخول فيها، ليؤكّد على أمر الخلود والإقامة في النار وكذلك ليحذّر عباده الطغاة من أصناف العذاب وأهوالها المعدّة لهم. فإنّه تعالى يستعين بالمعنى المحسوس أي أبواب المطابق والسجون لينتقل إلى المعنى المجرد وهو العذاب والنقمة في النار والسقر. والحقل الدلالي المرسوم في الشكل التالي يبرز لنا المعنى المركزي المراد من الآية الشريفة:

(٢٨) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٨، ص ٨٣٠.
(٢٩) ابن عاشور، محمّد بن طاهر، التحرير والتنوير، ج٢٤، ص ٢٤٨.
(٣٠) الأندلسي، محمّد، البحر المحيط في التفسير، ج٩، ص ٢٧٤.

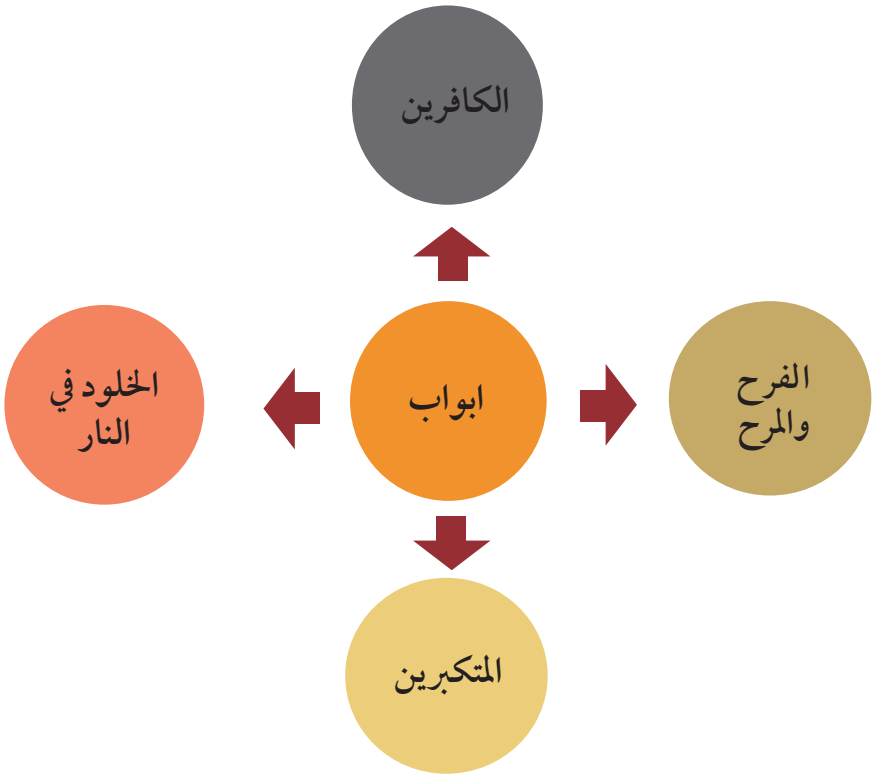

أبواب جهنّم وأصناف عذابها أفضل عقاب للكافرين، والفرحين المرحين والمتكبّرين في الدنيا الدنيئة. ففي هذا الشاهد كذلك تمّ التحوّل من عالم المعنى إلى عالم الحسّ لتجسيد المعاني وتقريبها إلى أفهام الناس. والحقل الدلالي المتحقّق في ألفاظ (الكافرين، والفرح، والمرح، والمتكبّرين) يرشدنا إلى المعنى المركزي المراد وهو التحذير من أصناف العذاب في النار.

الجدول التالي يحاول أن يرسم ملخّصاً من التحليل الدلالي لمفردة الباب في الآيات التي لم نقم بتحليلها بسبب ضيق المجال في هذا البحث. واكتفينا ببيان رقم الآيات، والكلمات المرتبطة بلفظ الباب والغاية من توظيف هذا اللفظ.

	التحليل الدلالي للفظ الباب في الآيات المهملة
توضيح الدلالة	﴿٢٣ رعد﴾ ﴿٧٣ زمر﴾ ﴿٣٤ زخرف﴾ ﴿١٤و٤٤ حجر﴾ ﴿٢٩ نحل﴾ ﴿٧٧ مؤمنون﴾ ﴿٧١و٧٢ زمر﴾
الكلمات المرتبطة بالباب	الجمل الفعليّة: يدخلون، فادخلوا، فتحنا عليهم، فتحنا، فتِحت، ادخلوا، فتِحت، ادخلوا، ففتحنا. الجمل الإسميّة: لها سبعة أبواب، لكلّ باب منهم، لبيوتهم أبواباً.
الغاية	توضيح الدلالات المجرّدة وهي النعم في الجنّة والعذاب في النار بواسطة الأمور المحسوسة.

فتمّ الانتقال من مجال (عالم المجردات) إلى مجال عالم آخر (عالم المحسوسات) لتوضيح ما لم يدركه العقل ولم يفهم كنهه العالم البشري، فلهذا استُمدّ من المجاز البلاغي الذي يضمن التشبيه والاستعارة والكناية لتجسيد المفاهيم المعقّدة وتقريبها من أفهام عامّة الناس.

ب. رقي الحياة العقلية لدلالة الباب:

كما أشرنا مسبقاً في قسم الدلالات للفظة الباب؛ فقد أخذ هذا اللفظ يتطوّر في المعنى بعد ما كان محدوداً بمعناه العام-في العصر الجاهلي -وكذلك الكرم والجود و... ولم يتحقّق هذا المهمّ إلّا بعد نزول القرآن الكريم والدخول في العهد الإسلامي حتّى يومنا هذا؛ أي أخذ العقل البشري بالتطور فاتسعت المفاهيم لديه وارتقت الحياة العقليّة حتى تصرف العقل في الألفاظ ليستمدّ منها ما كان يفيده ويلزمه في حياته اليوميّة.

جاء إبراهيم أنيس في تعريف هذا النوع من المجاز قائلاً: الدلالة تنتقل من مجال المحسوس إلى مجال المجرّد بسبب ارتقاء التفكير العقلي والجنوح إلى استخراج الدلالات المجردة وتوليدها، لكنّها تختلف مع المجاز البلاغي (في المحور السابق من هذا البحث)، إذ ليس المراد منه أثارة العاطفة أو انفعال النفس، بل هدفه الأساسي الاستعانة على التعبير عن العقليّات والمعاني المجرّدة. وقد تستعمل الدلالة المحسوسة، فلا تثير دهشة أو غرابة وتستعمل الدلالة المجردة في الوقت نفسه فلا يندهش لها أحد، ومن الممكن أن نسمّي

الأوّل بالحقيقة والآخر بالمجاز بينما لا حقيقة بينهما ولا مجاز وليست إحداهما بأحقّ وأولى بالإصالة عن الأخرى[٣١]. فملخّص ما قام به إبراهيم أنيس هو أنّ الأصل والأساس في هذا النوع من المجاز قياس اللفظ ودلالته مع ما ورد مسبقاً في المتون والمعاجم من دون الاهتمام بالمجاز البلاغي وأنواعه.

إنّ العقل البشري معيار للتفكيك بين الرشد والغي فعليه أن يفحّص في الآيات والتفاسير للوصول إلى ما هو مصون من الخطأ. فرقي الحياة العقليّة للبشر أدّى إلى هذا التشخيص والفهم.

«كانت العرب في الجاهليّة إذا أحرمت نقبت في ظهور بيوتها للدخول والخروج»[٣٢] وحينما جاء الرسول سألوه عن الأهلّة ونقصانها (كما ورد في بداية الآية التالية) فأجابهم الله تعالى قائلاً: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٩] أي أتت الآية، (تنبيهاً على أنّ اللائق لهم أن يسألوا أمثال ما تفعله العرب في الجاهليّة) ويهتمّوا بالعلم بها؛ أو أنّ المراد به التّنبيه على تعكيسهم السّؤال وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه.[٣٣] فـ «وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها» يعني: وباشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن يباشر عليها، ولا تعكسوا...[٣٤]. تطورت دلالة لفظ الباب حيث أصبحت واسعة تشمل على المفاهيم المجرّدة عن طريق دلالة الإلتزام إذ إنّه تعالى يشير إلى ما قابل باللمس ويُدرك بالحواس وهو الدخول في البيوت من أبوابها (المعنى العام) لكي يرمز إلى المعنى المجازي؛ وهو أن تُباشَر الأمور من وجوهها، أو يُطلَب المعروف من أهله. والشكل التالي يسعى لكي يرسم لنا الحقل الدلالي المتعلّق بالمعنى الأصلي:

(٣١) إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص ١٦١-١٦٢.
(٣٢) النيشابوري، إيجاز البيان عن معاني القرآن، ج١، ص ١٣٩.
(٣٣) القمي المشهدي، تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب، ج٢، ص، ٢٦٠-٢٦١.
(٣٤) الأندلسي، محمّد، البحر المحيط في التفسير، ج٢، ص٢٣٩-٢٤٠.

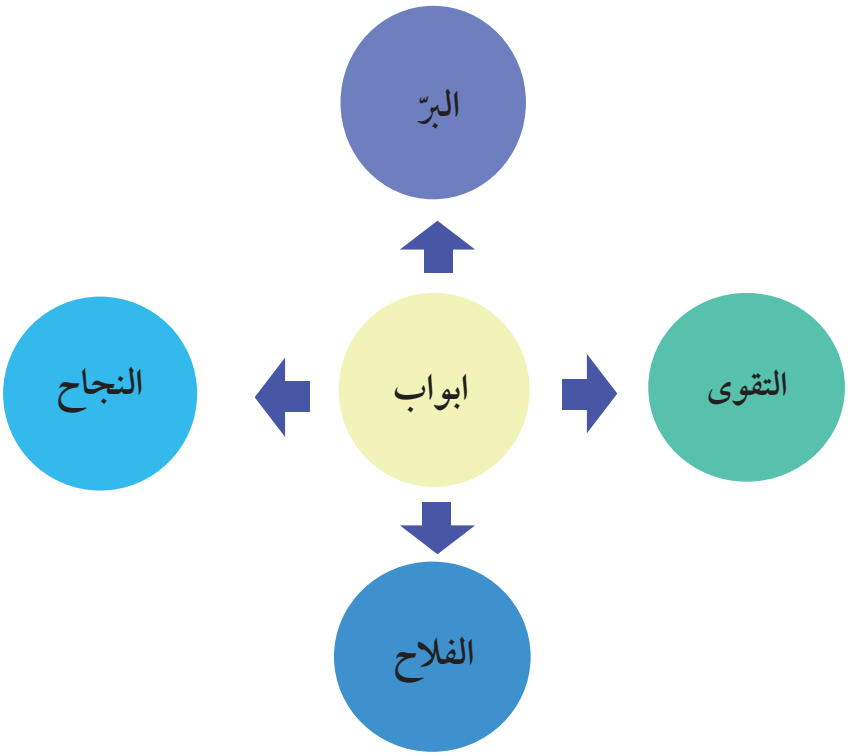

يجيب الله تعالى سؤال البشر عن الأهلّة وجدواها للحياة البشرية ومن ثمّ يشير إلى أنّ البرّ لا يعني دخول البيوت من ظهورها بعد الإحرام (كما كان يفعل العرب في الجاهليّة) ولكنّ البرّ هو طلب المعروف من أهله والقيام بالأمور من طريقها وهذا الذي ينتهي إلى الفلاح والنجاح ويختص بالمتقين من المسلمين. تمّ انتقال المعنى من المحسوسات إلى المعنويات بسبب رقي العقل البشري ولتوضيح المجردات التي لا سبيل لوضوحها.

وقد جاء الباب بالمعنى المجازي حينما خاطب الله تعالى بني إسرائيل قائلاً: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ﴾[سورة المائدة: ٢٣] أي أدخلوا قريتهم فتحصلوا على الفوز والنجاح. المراد من دخول الباب في الآية ترسيم النجاح والغلبة على الأعداء وهذه دلالة قدّمها القرآن عن طريق الدلالة الإلتزاميّة في اللغة حيث انتقل الله تعالى فيها من المعنى المحسوس العامّي وهو الدخول من باب القرية ليشير إلى الغلبة على الأعداء واحتلال المدينة. والشكل التالي يرسم المعاني المرتبطة بالمعنى الأصلي في الآية الشريفة:

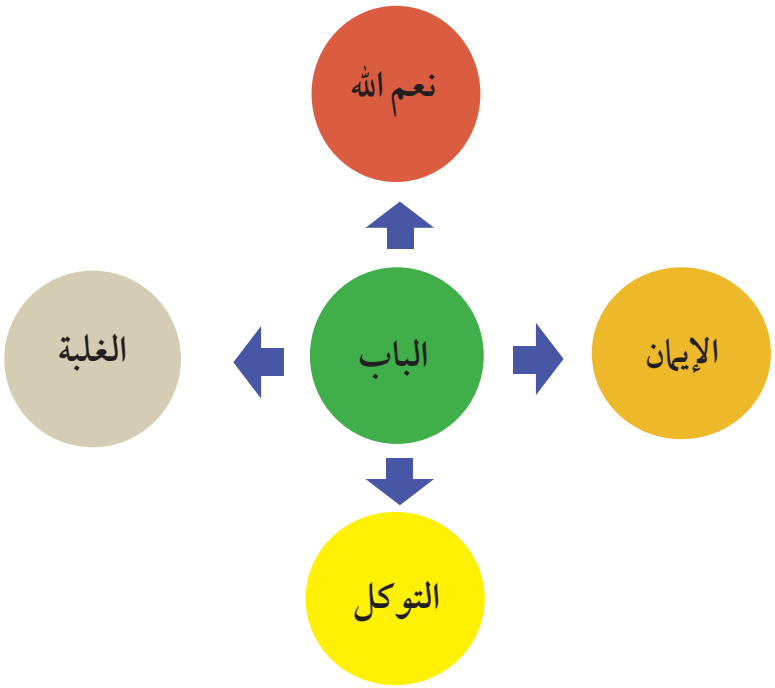

فالحقل الدلالي المرتسم في ألفاظ (نعم الله، والإيمان، والتوكّل، والغلبة) يشير إلى ما يراد من الآية الشريفة وهو ترسيم المعنى المركزي أي الفلاح والغلبة بسبب نموّ العقل البشري ورقي حياته. ولم تتحقّق الغلبة على الأعداء وكذلك النجاح إلّا بالإيمان والتوكّل.

والجدول التالي يقوم بترسيم التحليل الدلالي للفظ الباب بالنسبة إلى الآيات المنتمية إلى المحور الثاني للبحث وهو رقي الحياة العقليّة فيكتفي ببيان الكلمات المرتبطة بلفظ الباب والغاية الكليّة من توظيف هذا اللفظ:

	التحليل الدلالي للفظ الباب في الآيات المهملة
رقي الحياة العليّة	﴿٥٨ بقرة﴾ ﴿١٥٤ نساء﴾ ﴿٤٠و١٦١ أعراف﴾ ﴿٤٤ أنعام﴾ ﴿١١ قمر﴾ ﴿١٩ نبأ﴾
الكلمات المرتبطة بالباب	الجمل الفعليّة: ادخلوا، ادخلوا، ادخلوا، فتحنا عليهم، لاتُفتّح، فتحنا، فتحت.
الغاية	الإشارة إلى وجود أهل البيت وهم باب الحطّة، والبشارة بنزول الرحمة، والفتح في الأمور ونزول النعمة.

فتمّ تطوّر لغة الباب من معانٍ كالجود والكرم ومعناه المعروف نحو المعاني المجردة بسبب تطوّر العقل البشري وحاجته الماسّة بالمعاني الجديدة والراقية. فتوالدت المعاني وتغيّرت الكلمات أحياناً.

أمّا الآيات التي تمّ توظيف لفظ الباب فيها بمعناه العام أي المدخل للبيوت في القرآن الكريم فهي على النحو التالي:

الآيات التي ورد فيها لفظ الباب الدالّ على المعنى الحقيقي وهو مدخل الأماكن	الآية والسورة		رقم الآية
	﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَ ﴾	يوسف	٢٣
	﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ ...	يوسف	٢٥
	وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِ ﴾	يوسف	٢٥
	﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ ...	يوسف	٦٧
	وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ ﴾	يوسف	٦٧
الغاية	الوصول إلى الغاية النفسيّة		الابتعاد من عين الحسود

ورد لفظ الباب في سورة يوسف عليه السلام بمعناه الملموس والغاية من توظيفه حسب الاستنباط في الآيات الثلاثة الأولى هي الوصول إلى الغاية النفسيّة وفي الأخِيرين الابتعاد من عين الحسود؛ أي أخذ لفظ الباب يتطوّر معناً حتى زمننا هذا حيث نجد له المعاني التالية بعد ما وظّفه القرآن بمعناه الحقيقي: غلّقت الأبواب: أي اختارت العزلة وفارقت الناس، وامتنعت ورفضت مساعدة الآخرين إيّاها. ادخلوا من أبواب متفرّقة: أطرقوا كلّ الأبواب، وحاولوا بكلّ سبل، واستعملوا كلّ وسيلة.

الخاتمة:

يدرس هذا البحث، لفظ الباب في القرآن الكريم من منظار دراسة لغوية دلالية ليكشف عن أثر القرآن في تغيير وتطور هذه المفردة، ويحاول تبيين البلاغة والرموز الموجودة في طيّات معنى هذه المفردة عبر دراسة محورين أساسيين هما توضيح الدلالة للفظ الباب ورقي الحياة العقلية لدلالتها حسب نظرية إبراهيم أنيس في مجال التطور الدلالي للألفاظ. وقد توصّلنا إلى معرفة أسرار القرآن الخفيّة ودقّة تعبيره وكنوزه البلاغيّة ودلائله الإعجازية.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- ابن أبي طالب، علي، الديوان؛ جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٩٤م.
- ابن جنّي، الخصائص؛ تحقيق محمّد علي النجّار، الطبعة الثالثة، بيروت، لا تاريخ.
- ابن عاشور، محمّد بن طاهر، التحرير والتنوير، لا طبعة، لا تاريخ.
- ابن، كلثوم عمر، الديوان؛ جمعه وحقّقه وشرحه إميل يعقوب، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- ابن منظور، محمّد بن مكرّم، لسان العرب، الطبعة الثالثة، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.
- أزهري، محمّد بن أحمد، تهذيب اللغة، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ.
- امرؤالقيس، الديوان؛ تحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم، الطبعة الخامسة، بيروت: دار معارف، ٢٠٠٩م.
- الأندلسي أبوحيّان، محمّد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، لا طبعة، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.
- الأنصاري، حسّان بن ثابت، الديوان؛ شرحه عبدالله مهنّا، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، الطبعة الخامسة، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م.

- البيضاوي، عبدالله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.
- راغب اصفهاني، حسين بن محمّد، مفردات ألفاظ القرآن، الطبعة الأولى، بيروت: دار القلم، ١٤١٢هـ.
- الذبياني، النابغة، الديوان؛ تحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٩م.
- الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، لا طبعة، طهران: منشورات ناصر خسرو، ١٤١٣هـ.
- طرفة بن عبد، الديوان؛ اعتنى به حمدو طمّاس، الطبعة الأولى، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- الطفيل الغنوي، الديوان؛ تحقيق حسّان فلاح أوغلي، الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٩٧م.
- عبيد بن الأبرص، الديوان؛ شرح أشرف أحمد عدرة، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- فراهيدي، خليل بن أحمد، كتاب العين، الطبعة الثانية، قم: نشر هجرت، ١٤٠٩هـ.
- القمي المشهدي، محمّد بن محمّد رضا، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الطبعة الأولى، طهران: مؤسسة الطبع والنشر في وزارة الإرشاد الإسلامي، ١٤١٠هـ.
- المتلمّس الضبعي، الديوان؛ شرح حسن كامل الصيرفي، لا طبعة، القاهرة: جامعة الدول العربيّة، ٢٠٠٩م.
- نهر، هادي، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، الطبعة الأولى، الأردن: دار الأمل للنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.
- النيشابوري، محمود بن أبي الحسن، إيجاز البيان عن معاني القرآن، الطبعة الأولى، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٥هـ.